صراع مدن العدوة الأندلسية ضد الممالك الإسبانية المسيحية " (٦٩٣هـ/١٢٩٣م- ٧٤٤هـ/١٣٤٤م)

اعداد الطالبة
سمر محمد السيد يعقوب
طالبة دكتوراه بقسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس

تحت إشراف

أ.د/أحمد إبراهيم الشعراوى
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
بكلية البنات جامعة عين شمس

أ.د/ عفيفي محمود إبراهيم
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
بكلية الآداب جامعة بنها

ملخص

تظفر الدراسات التاريخية ببعض المواقع الجغرافية التي شهدت أحداثاً فريدة ، باهتمام كبير من لدن الباحثين عامة والمؤرخين خاصة، وتحظى العدوة الأندلسية بأهمية تاريخية، إذ دارت فيها الأحداث التاريخية في فترة خصبة لازالت بحاجة إلى كثير من البحوث والدراسات لتوثيق أحداثها الغامضة من أجل الفهم العلمي لحقيقة ما جرى على تلك الساحة، وقد يكون من الموضوعية أن نثبت أن بعض المظاهر التاريخية في العدوة الأندلسية التى بقيت تشكو من الضبابية مما ترك فراغاً تشكو منه المكتبة العربية التاريخية .

ولعل تلك الحقائق قد شكلت حجر الزاوية في الدوافع الأساسية لهذا الموضوع **" صراع مدن العدوة الأندلسية ضد الممالك الإسبانية المسيحية "(٦٩٣هـ/١٢٩٣م- ٧٤٤هـ/١٣٤٤م)**، لذا يأتي التصدي لهذا الموضوع استكمالاً للجهود العلمية التي تناولت التاريخ الأندلسي والمغربي .

وقد ظهر دور مدن العدوة الأندلسية فى الصراع ضد الممالك الإسبانية المسيحية، وذلك بفضل موقعها الاستراتيجى، فهى باب الأندلس، ومنفذ مضيق جبل طارق، والمعبر الرئيسى ، بين قارتى:أوربا وأفريقيا.

وذلك عندما أدرك نصارى اسبانيا أهمية مدنها، فحرصوا على التحكم فيها والاستيلاء على مدنها، وظهر ذلك واضحاً فى الصراع من أجل السيطرة عليها، وإقامة مدن تجارية على جانبيها.

فهى تجعل المسيطر عليها، يستولى على المجاز، وبالتالى الطريق الذى يربط بين المغرب والأندلس، ولذلك حرص ملوك قشتالة على الإستيلاء عليها لفصل المغرب عن الأندلس، وبالتالى يسهل لهم الإستيلاء على باقى مدن الأندلس وقواعده بعد ذلك.

من هنا تبرز أهمية مدن العدوة الأندلسية ، فهى تكشف لنا عن مواضع القوة والضعف بين الأندلس واسبانيا، والعوامل التي ساعدت على تبادلهما للدور الريادي، ومدى ما كان فيهما من تجانس داخلي أو تنافر، ووحدة أو تفرق.

وعليه اعتبر نصارى أسبانيا مدن العدوة الأندلسية خط الدفاع الأول عن الكيان الإسلامى بالأندلس، وذلك ابتداءً من القرن السابع الهجرى؛ لَمِاَ حققه التعاون العسكرى المشترك بين قوى المغرب وقوى الأندلس على عهد ملوك الطوائف، وحكام المرابطين، وحكام الموحدين.

وقد استطاعت ممكلة قشتالة ومملكة البرتغال الناشئة استغلال ضعف الموحدين فإستولوا على أهم مدن الأندلس مثل قرطبه، وجيان، ومرسيه. كذلك استولى القشتاليون على إشبيلية وأصبح لهم منفذاً على العدوة الأندلسية وبخاصة مضيق جبل طارق عن طريق نهر الوادى الكبير الذى يصلهم بالمحيط الأطلنطى.

وذلك من خلال استغلال القشتاليون حالة الشك التى تملكت ملوك بنى الأحمر من بنى مرين فعملوا على إذكاء الصراع بين الجبهة الإسلامية، واستغلاله لمصلحتهم.

وقد ادرك المسلمون ضعف موقفهم فى منطقة العدوة الأندلسية بعد ضياع طريف وجبل طارق، فعملوا على إصلاح ذات البين بالتحالف وأثمر ذلك عن إعادة ثغر جبل طارق إلى حوزة الإسلام سنة ٧٣٣هـ، هذا الثغر الحيوى الذى يوثق الصلة بين المغرب والأندلس.

صراع مدن العدوة الأندلسية ضد الممالك الإسبانية المسيحية (٦٩٣هـ/١٢٩٣م- ٧٤٤هـ/١٣٤٤م)

المقدمة:-

تحظى العدوة الأندلسية بأهمية تاريخية، بصفتها إحدى القواعد الإسلامية الأندلسية في العصر الوسيط، فهى تتمتع بأهمية عسكرية وسياسية، بفضل موقعها الاستراتيجى، فهى باب الأندلس، ومنفذ مضيق جبل طارق، والمعبر الأفضل بين قارتى:أوربا، وأفريقيا، كل هذه المقومات الطبيعية التى تمتعت بها العدوة الأندلسية جعلتها ميداناً للصراع من أجل السيطرة عليها، والتحكم فيها وسوف يظهر ذلك بوضوح خلال صراع مدن منطقة العدوة الأندلسية (الجزيرة الخضراء- طريف- جبل طارق) ضد الممالك الإسبانية المسيحية.

الموضوع:-

اعتبر نصارى أسبانيا مدن العدوة الأندلسية خط الدفاع الأول عن الكيان الإسلامى بالأندلس، وذلك ابتداءً من القرن السابع الهجرى؛ لَمِا حققه التعاون العسكرى المشترك بين قوى المغرب وقوى الأندلس على عهد ملوك الطوائف، وحكام المرابطين، وحكام الموحدين من نجاح باهر فى الصراع الدائر مع نصارى أسبانيا، كان من نتائجه انتصارات كبيرة، كإنتصارهم بمعركة الزلاقة، ومعركة الأرك[١].

ويعود سبب تحول نصارى أسبانيا فى محاربة الأندلسيين من جهة شمال الأندلس إلى جهته الجنوبية - مدن العدوة الأندلسية - لمعرفتهم بأن قوة المسلمين بالأندلس أصبح مصدرها قادماً من بلاد المغرب، خاصة مع التزام الموحدين وبنى مرين بخطى المرابطين فى دعم الأندلس ومساعدتهم ضد نصارى أسبانيا لا لشىء سوى الرغبة فى حماية الكيان الإسلامى بالأندلس بمجاهدة النصارى، فبنو مرين جعلوا من مدن العدوة الأندلسية قواعد عسكرية لجندهم، وبها أقاموا نظام مشيخة الغزاة، كما جعلوا من مياه مضيق جبل طارق، وتحديداً سواحل مدن العدوة الأندلسية قواعدَ بحرية لأساطيلهم، ودوراً لصناعتها، فكان لأول حكامهم يعقوب بن عبدالحق جهد واضح فى نصرة أهل الأندلس والتصدى لنصارى أسبانيا عدة مرات بيسر وسهولة[٢].

بل شكلت حملات يعقوب ضربات موجعة للقوى النصرانية، فشهد عام٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م حملة الأمير أبى منديل بن السلطان يعقوب، التى خاض بها ساحة القتال مع نصارى أسبانيا بعد مروره بالجزيرة الخضراء، كما شهد عام ٦٧٣هـ/١٢٧٤م حملة أخرى فى السادس عشر من ذى القعدة يقودها الأمير أبو زيان توغل بها فى دار الحرب بعد إقامته بطريف ثلاثة أيام، وكان لكلا الأخوين انتصارات باهرة ضد النصارى[٣].

وبعد هاتين الحملتين كانت الضربة الأكثر إيلاماً للنصارى على يد يعقوب نفسه، وهى الحملة التى أظهرت فعلاً الدور المناط بمدن العدوة الأندلسية، فجنود هذه الحملة أُرسلو إلى طريف فى شهر ذى الحجة من عام ٦٧٣هـ/١٢٧٤م، بينما كان عبور قائدهم السلطان يعقوب فى شهر صفر من العام التالى-٦٧٤هـ/١٢٧٥م- وهذا ما يؤكد تجاوز طريف دور العبور إلى دور التعبئة، ومن طريف توجه السلطان يعقوب بحملته ليقابل نصارى أسبانيا بمعركة استجة بقيادة

---

(١)السيد عبد العزيز سالم: بحوث إسلامية فى التاريخ والحضارة والآثار،ج١، دار الغرب الإسلامى، ط١، بيروت ،١٩٩٢م ، ص٣٩٠-٣٩١.

(٢)لسان الدين محمد بن عبدالله السلمانى الشهير بابن الخطيب (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م): الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٤، تحقيق/محمد عبدالله عنان، دار المعارف، القاهرة،١٩٧٣م ، ص٦٤-٦٥.

(٣)أبو زيد ولى الدين عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الخضرمى (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م): تاريخ ابن خلدون المسمى " كتاب العبروديوان المبتدأ والخبرفى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر" ، ج٤، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، ط١، بيروت،١٩٧١م ، ص٢٢٠.

الدون نونيو دى لار صهر حاكم قشتالة ألفونسو العاشر، وقد كانت نهاية هذه المعركة انتصار المسلمين ومقتل قائد النصارى الدون نونيو[١].

لم يكتفِ السلطان يعقوب بهذا الانتصار، فبعد أن أعاد تنظيم جيشه بالجزيرة الخضراء أعاد الكرة على النصارى بحصار مدينة إشبيلية حتى طلب أهلها الصلح منه، فعاد عنها إلى الجزيرة الخضراء، ومنها إلى المغرب بعد أن أبقى بالجزيرة الخضراء ثلاثة آلاف فارس، وبعد هذه الحملة كانت خاتمة حملات السلطان يعقوب فى الثامن والعشرين من محرم سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م انطلاقاً من الجزيرة الخضراء بعد ثلاثة أيام استقر بها بجنده، وقد كانت وجهتها مدينة إشبيلية[٢].

وبهذه الحملات تأكد للنصارى كون مدن العدوة الأندلسية خطراً عليهم بدعمها الواضح للقوى الإسلامية المقاتلة لهم، وهو ليس بجديد على نصارى أسبانيا، فقد سبق كل هذه الحملات اشتراط ألفونسو العاشر أن يضع يده على مدن العدوة الأندلسية عندما طلب منه محمد بن نصر بن الأحمر سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م أن يساعده فى السيطرة على مدن ساحل المغرب الشمالية، ولعدم نيل ألفونسو العاشر مراده؛ لرفض السلطان محمد طلبه، قرر ألفونسو العاشر القيام بمحاولاته العسكرية على مدن العدوة الأندلسية بنفسه[٣].

كانت حملة مملكة قشتالة بدعم من مملكة أراغون، سعى بها النصارى بكل قوتهم للسيطرة على الجزيرة الخضراء، وذلك فى عام ٦٧٧هـ/١٢٧٨م، وللسيطرة على الجزيرة الخضراء أقام النصارى عليها حصاراً بحرياً وبرياً سبقت به الأساطيل البحرية الجيوش البرية بستة إلى سبعة أشهر، وقد حرص النصارى على أن يكون هذا الحصار محكماً، وصلوا به لدرجة منعوا بها وصول أى شىء إلى الجزيرة الخضراء سوى ما كان يأتى به الحمامُ من رسائل قادمة من جبل طارق، كما أن هذا الحصار أدى لسقوط عدد كبير من أهل الجزيرة الخضراء صرعى من الجوع والسهر على الأسوار[٤].

ولخلاص الجزيرة الخضراء من يد النصارى الذين أشرفوا على إخضاعها، كتب السلطان يعقوب إلى أهل الثغور بإعداد الأساطيل وعمارتها، فبذلوا جهدهم، وكان للفقيه أبى حاتم العزفى حاكم سبته الصدارة فى ذلك بإعداده لخمسة وأربعين مركباً؛ وبكل ما أُعد وجه السلطان يعقوب حملة بقيادة ابنه يعقوب يوسف من طنجة أوائل صفر عام ٦٧٨هـ/١٢٧٩م؛ وقد نجح المسلمون فى صد حملة النصارى، وإنقاذ الجزيرة الخضراء من حصارهم فى منتصف شهر ربيع الأول[٥].

ولاستمرارية السلطان يعقوب فى حملاته الجهادية بالأندلس ضد النصارى، كمهاجمته لقرطبة وطليطلة، وفتحه لعدد من الحصون فى عام ٦٨٢هـ/١٢٨٣م رأى النصارى أنه لابد لهم من إنهاء هذه الحملات بقطع القوات المغربية عن الأندلس؛ بالسيطرة على مياه مضيق جبل طارق؛ وهنا كانت محاولتهم سنة ٦٨٤هـ/١٢٨٥م لعلمهم بانشغال السلطان يعقوب بحصار مدينة شريش الذى كرس لأجله كافة قواه، ومنها تزوده بالمجانيق والسهام وآلات الحرب من الجزيرة الخضراء عن طريق أساطيل جزيرة كبتو، ورغم انشغال السلطان يعقوب بأمر شريش إلا أنه أحسن التصرف تجاه الأسطول النصرانى بالاسراع فى صده قبل فرض سيطرته على المضيق، وذلك بإيعازه إلى مدن السواحل سبته، وطنجة، والمنكب، وطريف، والجزيرة الخضراء بصد

---

(١) خليل السامرائى: تاريخ العرب وحضارتهم فى الأندلس، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت ،٢٠٠٠م ، ص٢٩٦.

(٢) نفسه.

(٣) حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، ط٣، القاهرة،١٩٩٩م ، ص٤٤٦.

(٤) نورة التويجرى: علاقة مملكة بنى الأحمر بالدول النصرانية ،ج١،ع٢٨، مجلة دراسات أندلسية ، رمضان ١٤٢٣هـ/نوفمبر ٢٠٠٢م ، ص٧٣-٧٤.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة،ج١، ص٥٦٦.

أساطيل النصارى، فتوجه ستة وثلاثون أسطولاً مكتمل العدة، أذهل خروجهم أساطيل النصارى، ودفعهم للعودة على أعقابهم[١].

ورغم فشل كل محاولات نصارى أسبانيا فى السيطرة على مدن العدوة الأندلسية إلا أنهم لم يكفوا عنها، بإبدال الهجوم العسكرى إلى إعمال الحيلة للوصول لمبتغاهم فألفونسو العاشر قام بإشعال الفتنة بين محمد الفقيه سلطان بنى الأحمر ويوسف بن يعقوب سلطان بنى مرين بإثارة شكوك محمد الفقيه حول نية بنى مرين تجاه الأندلس، ورغبتهم فى السيطرة عليها متى حانت لهم الفرصة، ولمنع ذلك يجب انتزاع مدينة طريف أكبر ثغور العدوة الأندلسية من أيدى بنى مرين وإعادتها إلى بنى الأحمر[٢].

ولهذا الأمر كان الاتفاق بين محمد الفقيه وألفونسو العاشر بأن يتكفل محمد الفقيه بتموين الحملة بكل ما تحتاجه من مؤن وعتاد، على أن يتعهد أمر حصار طريف وإسقاطها ألفونسو العاشر، وبحلول أول يوم من جمادى الآخرة سنة ٦٩١هـ/ ١٢٩١م ضرب ألفونسو العاشر حصاراً بحرياً وبرياً على مدينة طريف، نصب خلاله المجانيق والرعادات لمدة خمسة أشهر، انتهت بطلب أهل طريف الصلح، وكان دخول ألفونسو العاشر لمدينة طريف آخر يوم من شهر شوال؛ وبسيطرة ألفونسو العاشر على طريف ظهرت حيلته بامتناعه عن إكمال اتفاقه مع محمد الفقيه بتسليمه طريف حال استيلائه عليها، بل رفض التنازل عنها مقابل الحصون الستة التى قدمها له محمد الفقيه نظير تسليمه طريف، وهنا كان السقوط الأول لإحدى مدن العدوة الأندلسية بيد نصارى أسبانيا، والتى جعلوا منها عيناً لهم على مضيق جبل طارق[٣].

وفُقدان مدينة طريف كان له أثر بالغ على المسلمين، وأولهم محمد الفقيه الذى سعى لإعادة العلاقة مع بنى مرين، متوجاً ذلك بعبوره إلى المغرب فى عام ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م، وحاملاً للهدايا طلباً للصفح عما قام به تجاه طريف، وكان الصفح من السلطان يوسف، الذى أمر وزيره عمر بن مسعود بن خرباش الحشمى بقيادة حملة ترافق السلطان محمد الفقيه لاستعادة طريف، فما كان من عمر بن السعود إلا أن ضرب الحصار على طريف لفترة زمنية، عاد بعدها خالى الوفاض لبلاد المغرب؛ وتشير المصادر الأجنبية إلى أن فشل حملة عمر بن مسعود عائد لبطولة قائد الحامية القشتالية بطريف قزمان الطيب[٤].

ولأهمية طريف وحاجة دولتى بنى الأحمر وبنى مرين لها أعاد السلطان يوسف الكرة عليها فى عام ٦٩٣هـ/١٢٩٣م يصحب معه الوزير عمر بن مسعود رغبة فى الاستفادة من خبرته السابقة فى حصار طريف، لكن طريف استعصت عليهم للمرة الثانية فعادوا عنها إلى بلاد المغرب[٥].

ولعودة العلاقات السيئة بين بنى مرين وبنى الأحمر بعد وفاة السلطان محمد الفقيه سنة ٧٠١هـ/١٣٠١م؛ لإساءة ابنه السلطان محمد المخلوع التعامل مع بنى مرين، ومن بعده خليفته أبو الجيوش نصر بن محمد، لم تحدث أى محاولة لاستعادة مدينة طريف، بل استغلت هذه

---

(١) مجهول: الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق/ سهيل زكار وعبدالقادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، ط١، الددار البيضاء،١٩٧٩م ، ص١٧٦.

(٢) نفسه.

(٣) لسان الدين محمد بن عبدالله السلمانى الشهير بابن الخطيب(ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م): تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام فى من بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفى بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، القاهرة ، ٢٠٠٤م ، ص٢٩١.

(٤) هو أبو بكر محمد بن عيسى بن قُزمان الأصغر، إمام الزجالين بالأندلس أديب بارعٌ، قيل إنه منظم الشعر المُعرب، توفى سنة ٥٥٥هـ . أبو الحسن على بن موسى بن محمد بن عبدالملك بن سعيد المغربى(ت ٦٨٥هـ /١٢٨٦م):المغرب فى حلى المغرب، ج١، تحقيق/ د.شوقى ضيف، دار المعارف، ط٣، القاهرة ، ١٩٧٨م، ص١٦٧-١٧٦، ١٠٠- ١٠١.

(٥)على بن عبدالله بن أبى زرع الفاسى (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٥م): الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والنشر والوراقة، الرباط، ١٩٧٥م، ص٥٠٥- ٥٠٦.

الأحوال السيئة من قِبل نصارى أسبانيا الذين وجدوا بها فرصة سانحة لهم للانقضاض على مدينتى جبل طارق والجزيرة الخضراء[١].

ففى عام ٧٠٩هـ١٣٠٩م اتفق فرناندو الرابع Fernando IV[٢] ملك قشتالة مع خايمى الثانى Jaime II ملك أراغون على مهاجمة دولة بنى الأحمر، وذلك بمهاجمة خايمى الثانى لمدينة المرية، وفرناندو الرابع للعدوة الأندلسية، ثم يتحد الطرفان بعد تحقيق هدفهم الأول للاستيلاء على مدينة غرناطة، وفى الحادى والعشرين من صفر كانت قوات قشتالة البرية والبحرية أمام مدينتى جبل طارق والجزيرة الخضراء، وبدأت شن حصار مشدد على المدينتين انتهى آخر شعبان عام ٧٠٦هـ/١٣٠٩م[٣].

أى بعد بضعة أشهر من بدء الحصار بإستيلاء فرناندو الرابع على جبل طارق وإفراجه عن الجزيرة الخضراء اكتفاءً بمكسبه الأول جبل طارق. وبهذا الحدث ضُمت مدينة جبل طارق ومدينة طريف، كلتاهما إلى حكم قشتالة التى بدأت تصب غاراتها على أراضى بنى الأحمر وبنى مرين، بالإضافة لترصدها للسفن الإسلامية العابرة لمضيق جبل طارق؛ بفضل سيطرتها على مدينتين من مدن العدوة الأندلسية، فى وقت لا زال به التعاون العسكرى بين بنى الأحمر وبنى مرين على درجة من الضعف تُعيق إمكانية القيام بدور يذكر تجاه مدن العدوة الأندلسية رغم الإفاقة المتأخرة لأبى الجيوش تجاه أبى الربيع سلطان بنى مرين؛ لإعادة علاقة التعاون كما كانت عليه[٤].

كما أن سقوط جبل طارق وطريف عائد لسبب رئيسى يتمثل فى عدم إحسان سلاطين الدولتين أمر حماية مدن العدوة الأندلسية، وحتى أمر استرجاعها، وذلك لإنشغالهم فى الخلاف والنزاع فيما بينهم[٥].

ورغم هذا الضعف إلا أن أهمية الجزيرة الخضراء ازدادت لدى حكامها بنى مرين، كونها آخر رابط يربط المغرب بالأندلس، ولهذا اهتم بنى مرين بأمرها فى صورة لو كانت سابقة لهذه الأحداث لما سقطت مدينتى جبل طارق وطريف بيد نصارى أسبانيا، ففى عام ٧١١هـ/١٣١١م عين السلطان أبو سعيد عثمان المرينى أخاه أبا البقاء يعيش والياً على الجزيرة الخضراء ورنده واحوازهما، وامر بصناعة السفن فى دار صناعة سلا تمهيداً للمرور إلى الأندلس، وبعد عامٍ من ذلك -٧١٢هـ/١٣١٢م- تنازل أبو سعيد بالجزيرة الخضراء لحكم بنى الأحمر الأكثر استقراراً فى هذا الوقت، والأقدر على القيام بشؤونها؛ لانشغال بنى مرين بشئونهم الداخلية - حدثت فتن ونزاعات بين أفراد الأسرة الحاكمة فى هذه الفترة[٦].

واستغلالاً لتردى الظروف السياسية والعسكرية للمسلمين، عزم نصارى أسبانيا على الاستفادة من الأوضاع بالإجهاز على آخر مدينة بالعدوة الأندلسية؛ ليسهل عليهم القضاء على الكيان الإسلامى بالأندلس، وتحقيقاً لذلك أعدتْ قشتالة قوتها لغزو الجزيرة الخضراء فى عام

---

(١) أحمد مختارالعبادى، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الإسلامية فى حوض البحر الأبيض المتوسط، ج٢، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ب.ت ، ص٣١٦.

(٢) هو الملك فرناندو الرابع Fernando IV بن سانشو الرابع Sancho IV ملك قشتالة، الذى تولى الملك سنة ١٢٩٦م/ ٦٩٦هـ تحت وصاية أمه ماريا دى مولينا Maria de Molina، وتوفى فى سنة ١٣١٢م/ ٧١٢هـ. ابن الخطيب:الإحاطة، مج٣، ص٣٣٩، هامش(١).

(٣) العبادى، سالم: تاريخ البحرية ، ج٢ ، ص٣١٦.

(٤) مهجة أمين: سقوط الأندلس، شراع للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، دمشق،٢٠٠٠م، ص١١١-١١٢؛
Salma Khadra Jayyusi: The Legacy of Muslim Spain،chief Manuela Marin، E.J.BRILL، Leiden، 1994 ,P79.

(٥) نورة التويجرى: علاقة ممكلة بنى الأحمر، ص٨٠-٨١.

(٦) محمد عبدالله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، ج٤، مكتبة الخانجى، ط٢، القاهرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص١٢٢.

٧١٦هـ/١٣١٦م، لكن سرعة تصدى السلطان إسماعيل بن الأحمر لحملة قشتالة، بحمايتها للجزيرة الخضراء براً وبحراً، دفعت قوات قشتالة لتغيير مسيرتها إلى مدينة غرناطة[١].

ونتيجة لمحاولة نصارى أسبانيا السيطرة على الجزيرة الخضراء والإحساس بخطر ذلك، قامت المقاومة الإسلامية بقيادة القائد يحيى بن أبى طالب العزفى فى نفس العام-٧١٦هـ/١٣١٦م- بمحاولة لاستعادة جبل طارق من الحكم القشتالى، وقد تمكن العزفى بعد حصاره لجبل طارق عدة أيام من دخول ربضه دون السيطرة عليه[٢].

وحرصاً على الجزيرة الخضراء من هجوم نصارى أسبانيا المتوقع حدوثه فى أى وقت، أعاد محمد بن إسماعيل بن الأحمر حكمها إلى السلطان أبى سعيد عثمان المرينى، وذلك أيضا لاشتداد حملات نصارى أسبانيا على غرناطة، كان ذلك فى عام ٧٢٩هـ/١٣٢٨م، كما تحرك السلطان محمد بن إسماعيل فى الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة ٧٣٠هـ/١٣٣١م إلى المغرب لطلب نجدة وعون السلطان أبى الحسن من اشتداد وطأة النصارى على بلاده، ولإنجاد الأندلس رأى السلطان أبو الحسن أن ذلك لن يتم إلا بإستعادة مدن العدوة الأندلسية، فما كان منه إلا أن وجه ابنه أبا مالك على رأس حملة عسكرية برية بحرية تقدر بخمسة آلاف مقاتل، ضرب بها الحصار على جبل طارق بمساعدة السلطان محمد بن اسماعيل إلى أن أُجبرت الحامية القشتالية على تسليم المدينة فى يوم الثلاثاء الثانى عشر من ذى الحجة من عام ٧٣٣هـ/١٣٢م، فعادت مدينة جبل طارق إلى حاضرة الإسلام بعد أن دامت تحت حكم القشتالين مدة أربعة وعشرين عاماً[٣].

وما إن وضع أبو مالك يده على جبل طارق حتى سارع إلى تزويده بالعدة والعتاد والذخيرة من الجزيرة الخضراء بعد أن أقام بالجبل يحيى بن طلحة بن محلى وزير والده، وقد بذل فى ذلك جهداً كبيراً لدرجة أنه أخذ ينقل المؤن على فرسه، يماثله فى ذلك السلطان يوسف بن الأحمر، وقد اتخذ أبو مالك هذا الإجراء خوفاً من عودة النصارى لوضع أيديهم على جبل طارق قبل استقراره بيد المسلمين[٤].

وقد كان حرص أبى مالك فى محله، فما استعاد المسلمون جبل طارق حتى سارع ألفونسو الحادى عشر بنفسه يقود جنده لإعادة السيطرة على جبل طارق، ولفرض السيطرة على جبل طارق ضرب ألفونسو الحادى عشر أسواره بالمجانيق، وذلك فى عام ٧٣٤هـ/١٣٣٣م، حيث عاد ألفونسو الحادى عشر عن جبل طارق دون أن يحقق ما كان يصبو إليه؛ وبإنهاء ألفونسو الحادى عشر حصار جبل طارق ظهر مدى حرص السلطان أبو الحسن على جبل طارق؛ بتحصينه بكافة وسائل الدفاع، وإقامة دار لصناعة السفن به، وتزويده بالذخائر والمؤن؛ لكى يبقى بمأمن من هجمات النصارى التى لن تبتعد طويلاً عن العدوة الأندلسية[٥].

ولخسارة النصارى لجبل طارق وعدم تمكنهم من استعادته، أذاقت جيوشهم مملكة غرناطة ويلات الحرب، حتى اندفع السلطان أبو الحجاج بن الأحمرلطلب المساعدة من السلطان أبى الحسن المرينى الذى أرسل ابنه أبا مالك- أبو مالك عبدالواحد المرينى- لدفع ضرر نصارى أسبانيا عن مملكة غرناطة؛ ورغم ما حققه أبو مالك من انتصارات، إلا أن هزيمته سنة ٧٤٠هـ/١٣٣٩م تلك المعركة الدموية، ومقتله بها، كانت بداية غلبة النصارى على المسلمين بساحة العدوة الأندلسية[٦].

---

(١)ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون،ج٤، ص٢٣٤.
(٢)ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص٥٢٨.
(٣)ابن الخطيب:الإحاطة،ج١، ص٥٣٥.
(٤)أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى(ت١٢٧٤هـ/١٨٥٧م):الإستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى،ج١، تحقيق/جعفر الناصرى، محمد الناصرى، دار الكتاب، الدار البيضاء،١٩٥٤م، ص١٢١-١٢٢.
(٥) ابن الخطيب:الإحاطة،ج٣، ص١٥٢.
(٦) مهجة أمين: سقوط الأندلس، ص١١٣.

فما أن علم أبو الحسن بما حدث لابنه حتى أعد العُدة لخوض غمار القتال مع النصارى ثأراً لمقتل ابنه، وسعياً فى وقت واحد لاستعادة مدينة طريف من يد النصارى، ولهذه المعركة استعان أبو الحسن بالسلطان الحفصى المتوكل بن أبى يحيى، الذى أمده بحملة عسكرية مكونة من ست عشرة قطعة بحرية بقيادة زيد بن فرحون قائد أسطول بجاية، كما شاركه هذه الحملة السلطان أبو الحجاج بن الأحمر، بهذا التحالف ضرب أبو الحسن حصاراً برياً وبحرياً على مدينة طريف بعد عبور شاق لمضيق جبل طارق حيث كانت به أساطيل نصارى أسبانيا تحاول منعه من الهروب إلى الأندلس بأمر من ألفونسو الحادى عشر، رغم أن عبور بنى مرين كان بمئة وأربعين جفناً غزوياً، وما إن عبر أبو الحسن إلى الأندلس فى الثالث من محرم عام ٧٤١هـ/١٣٤٠م حتى ضرب الحصار على طريف بقوات بلغ عددها ستين ألف مقاتل، ونصب آلات الحرب عليها، كما عين محمد بن العباس بن تاحضريت والياً على الجزيرة الخضراء، وزوده بمدد عسكرى مع موسى بن إبراهيم اليرينانى تحسباً لأى طارىء[١].

وعلى الجهة الأخرى كان ألفونسو الحادى عشرAlfonso XI قد أعد خطة هَدَفَ من خلالها إضعاف قوات المسلمين المحاصرة لطريف، ومن ثم الانقضاض علها، وذلك بإرساله لأسطول بحرى لمضيق جبل طارق مهمته قطع طريق الإمدادات من المغرب إلى الأندلس؛ لاستنزاف مؤن وعتاد المسلمين، ثم قام ألفونسو الحادى عشر بعد ستة أشهر، وبتحالف مع قريبه ألفونسو الرابع ملك البرتغال، وبدرو الرابع ملك أراجون بشن هجمه عسكرية على جيوش المسلمين فى الثامن من جمادى الآخرة سنة ٧٤١هـ/٣٠ تشرين-أكتوبر ١٣٤٠م، عرفت فى المصادر العربية بمعركة طريف، وفى المصادر الأسبانية بـ(Battelle Del Rio Salado) ، وبالإضافة لاستنزاف ألفونسو الحادى عشر لقوة المسلمين، كان قد أرسل فرقة من جيشه تمكنت على حين غفلة من العسس دخول مدينة طريف، والمكوث بها قبل ليلة من يوم القتال[٢].

وعندما بدأ القتال بين المسلمين والنصارى خرجت هذه الفرقة، وهاجمت مؤخرة جيش المسلمين، مما أدى لاختلال صفوفهم وهزيمتهم هزيمة نكراء، وصل بها جند النصارى إلى فسطاط السلطان أبى الحسن وقتلوا من به من النساء والأطفال، وإلى جوار هزيمة المسلمين ببر العدوة الأندلسية، كانت هزيمتهم بمياه ساحله، خسروا بها سبعاً وستين قطعة بحرية[٣].

ولم يكتفِ ألفونسو الحادي عشر- زعيم نصارى أشبانيا- بتحقيق هذا النصر دون أن يحقق مكاسب تضاف لصالحه، ويكون بها دعم لموقفه فى صراعه مع المسلمين، وبهذه اللحظة كانت الفرصة مواتية لكى يسيطر ألفونسو الحادي عشر على إحدى مدن العدوة الأندلسية، ولذلك وجه قواته لفرض الحصار على الجزيرة الخضراء مباشرة بعد انتهاء معركة طريف، بل تجاوز الأمر ذلك إلى ندائه للحرب المقدمة ضد المسلمين، فوفدت إليه جموع من الأوربيين فى مقدمتهم عدد من أمراء إنجلترا منهم: الكونت دربيConed de Derby، والكونت سالسبرى Coned de Salisbury، والكونت غاسطون، والكونت دفوا، والكونت دوبيارن وغيرهم، وبتلك القوات الأوربية ضرب ألفونسو الحادى عشر حصاراً مشدداً على الجزيرة الخضراء استعان به بالفعلة والصناع، كما اتخذ بيوتاً من الخشب للجند، ولم يكن لسلاطين المسلمين سوى ما كان للسلطان أبى الحجاج من متابعة لجيوش النصارى من خلال مقامه بجبل طارق، ومحاولات السلطان أبى الحسن لإيصال شىء من المدد إلى الجزيرة الخضراء، وأمام الحصار المشدد من قِبل النصارى، وقلة يد المسلمين، خارت قوى الجزيرة الخضراء بعد عشرين شهراً، وطلب أهلها إقامة الصلح

---

(١)ابن الخطيب:أعمال الأعلام، ص٣٠٥.

(٢) صالح محمد أبو دياك: فنون القتال عند المرابطين والموحدين والحفصيين،ع٣٨،السنة الخامسة عشر، مجلة المؤرخ العربى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م،ص٢٤٥.

(٣)شكيب أرسلان: الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية، ج٢، المطبعة الرحمانية ، ط١، القاهرة ، ١٩٣٦/١٩٣٩م، ص٣١٤-٣١٥.

مع النصارى على أن يُسلموا المدينة مقابل أمان أهلها، ومن بها من المقاتلين، وتم ذلك الإتفاق فى عام ٧٤٣هـ/١٣٤٢م، وبهذا سقطت الجزيرة الخضراء بيد نصارى أسبانيا[١].

كما أن خضوع طريف فى هذا الوقت كان له دور كبير فى تمكين قوات النصارى من إخضاع مدينة الجزيرة الخضراء، وهى المدينة الأقرب إليها، كما أن إطلالة طريف على مضيق جبل طارق مكنت النصارى من إيصال الإمدادات القادمة من دول نصارى أسبانيا وغيرها من دول أوربا إلى القوات المحاصرة للجزيرة الخضراء، لم يكن سقوط الجزيرة الخضراء بالأمر الهين على المسلمين، فسقوطها إلى جوار سقوط طريف يُعد حدثاً خطيراً على الكيان الإسلامى بالأندلس، وقد اتضح صدى ذلك على المراسلات التى تمت بين السلطان أبى الحسن المرينى، والسلطان إسماعيل بن محمد بن قلاوون، التى اقتصرت على ما حل بمدن العدوة الأندلسية ما سقط منها، وما لا زال بيد المسلمين، وحدوث هذه المراسلات يعكس مدى أهمية مدن العدوة الأندلسية لدى هؤلاء السلاطين فى الصراع القائم مع نصارى أسبانيا، ولعلمهم بازدياد هجمة نصارى أسبانيا على المدينة الأخيرة من مدن العدوة الأندلسية جبل طارق[٢].

ترتب على الهزيمة التي ألحقت بالمسلمين في موقعة طريف المشؤومة (٧٤١هـ/١٢٤٠م) انكسار شوكة بني مرين تجاه الأسبان، ولم تقم لهم قائمة بعدئذٍ، وإن كان السلطان المريني أبو الحسن علي بن عثمان قد عوّل بعد رجوعه إلى المغرب على معاودة الكرة، إذ نادى فور وصوله إلى سبته بالجهاد في أنحاء المغرب كافة، وأصدر أمره بإعادة تنظيم أسطوله، وعيّن لقيادته وزيره(عسكر بن تاحضريت)، ولما بلغ الخبر ملك قشتالة الفونسو الحادي عشر، جهّز هو أيضاً أسطوله ودفع به إلى بحر الزقاق، ونشبت بين الطرفين ملحمة بحرية هائلة تمخضت عن هزيمة الأسطول المريني وإنزال الدمار فيه، وهذا ما شجّع ملك قشتالة على متابعة زحفه نحو الجزيرة الخضراء ومحاصرتها، وعلى الرغم من الجهود والامدادات التي قدمها سلطان غرناطة يوسف الأول بن اسماعيل الملقب بابن الحجاج أو أبي الحجاج ، والسلطان أبو الحسن المريني من سبته وذلك بتسريب المدد إليها من الفرسان والأموال والمؤن[٣].

بيد أن هذا لم يغنِ شيئاً أمام إصرار الأسبان على امتلاك المدينة مهما كلفهم ذلك ، فأضطرت المدينة إلى الإستسلام بعد مفاوضات وعقد معاهدة بين السلطان أبي الحجاج والملك القشتالي الفونسو الحادي عشر، نصّت على أن يجيز الفونسو الحادي عشر المحاربين المغاربة إلى المغرب، ويتنازل سلطان المغرب له عن الجزيرة الخضراء بعد الأمان للمحاربين وللسكان على السواء، وبالفعل تم اخراج المقاتلين بعد تأمينهم وعبروا إلى المغرب وكان ذلك في السنة ٧٤٣هـ/ ١٢٤٢م، ثم سيطر الأسبان على المدينة ورفعوا أعلام الفونسو فوق أسوارها ومسجدها الذي تحول فيما بعد إلى كنيسة القديسة ماريا دي لا بالما، وبذلك خسر المسلمون ثغر حربي مهم عُدَّ من أهم القواعد العسكرية فى مضيق جبل طارق[٤].

واستمرت سيطرة القشتاليين على الجزيرة الخضراء حتى السنة٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م، عندما تمكن العرب المسلمون من استعادتها، وذلك بعد أن اتفق السلطان عبد العزيز بن الحسن المريني مع سلطان غرناطة محمد الخامس الغني بالله ، مستغلين حالة الضعف والوهن والخلاف التي دبت بين افراد البلاط القشتالي وانشغالهم بالفتن والنزاعات على كرسي الحكم، واتفق الطرفان على أن ينازلها السلطان ابن الأحمر بعساكره، وفي المقابل يتكفل السلطان عبد العزيز بجميع نفقات الحملة، وذلك بسبب انشغاله بالتمرد الذي تزعمه ابن أخيه أبي الفضل بن أبي سالم، وعامر بن محمد، كما أوعز إلى اسطوله المرابط في سبته للتقدم لمحاصرة الجزيرة الخضراء بحراً وذلك في السنة ٧٧٠ هـ/١٣٦٨م، وبعد فرض الحصار عليها لعدة أيام، تمكنت القوات الغرناطية من الوصول إلى مدينة (البنيـة) الملاصقة للجزيرة الخضراء ودخولها عنوة، عندئذٍ

---

(١)شكيب أرسلان:الحلل،ج٢، ص٣١٥.
(٢)محمد كمال شبانة: يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٦٩م، ص١٢٥.
(٣) نفسه
(٤) نفسه، ص ١٣٩.

أيقنت الحامية القشتالية بهلاكها وذلك بسبب عدم وصول الامدادات إليها، وتقدمت بطلب الأمان، ووافق ابن الأحمر على طلبها، فغادرت الحامية الجزيرة الخضراء التي عادت إلى ملك بني الأحمر في ٢٥ ذي الحجة من السنة ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م [١].

ويبدو أن اصرار الأسبان على انتزاع الجزيرة الخضراء مجدداً من أيدي بني الأحمر ومحاصرتها من جميع الجهات إلاّ الجهة المطلة على المغرب الذي فتح ذراعيه لإستقبال سكانها المهاجرين الذين ضاقت بهم سبل العيش فيها واستمر بقاء المدينة بيد السلطان الغرناطي محمد الخامس مدة عشر سنوات، ثم وجد السلطان محمد الخامس أنه لا محال من وقوع المدينة ثانية بأيدي الأسبان، لهذا انتهى برأيه إلى تدميرها وتهديمها في السنة ٧٨٠هـ/١٣٧٨م، وهي السنة نفسها التي احتل بها الأسبان الجزيرة الخضراء مجدداً من طريق جهة جبل طارق، وهكذا سقطت الجزيرة الخضراء نهائياً، وانتهى فيها الحكم العربي الإسلامي[٢].

فبعد أن تمكن ألفونسو الحادى عشر من تحقيق عدة انتصارات على دولة بنى الأحمر، منها محاصرة عاصمتهم غرناطة إلى أن أجبر أهلها على دفع إتاوة، وهدنة لمدة عشرة سنوات، قام بعدها بمهاجمة جبل طارق سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م ومحاصرته لمدة قاربت السنة، كاد بنهايتها أن يسقط جبل طارق بيده، غير أن شاءت الأقدار أن يبقى جبل طارق إسلامياً لفترة ما، حيث دب الطاعون بجيش ألفونسو الحادى عشر، وتوفى هو بسببه أثناء حصاره لجبل طارق ليلة العاشر من محرم سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م، فعادت جيوشه بتابوته إلى قشتالة، وقد أظهر أهل جبل طارق تدعيمهم الحامية المرينية بسالة كبيرة فى حماية مدينتهم والتمسك بها، فى وقت اكتفت به جيوش المسلمين بقيادة أبى الحجاج بالمرابطة خلف جيش ألفونسو الحادى عشر[٣].

وبانفراج الحصار عن جبل طارق تنفس المسلمون بالأندلس والمغرب الصعداء، وأخذ سلطان الأندلس أبو الحجاج يبعث الرسائل مستبشراً بوفاة ألفونسو الحادى عشر وخلاص جبل طارق، ومن تلك الرسائل: رسالة للسلطان أبى عنان المرينى، ورسائل لرعاياه بالأندلس، منها رسالة لمدينة المرية[٤].

وقد أدت حملة ألفونسو الحادى عشر على جبل طارق إلى ازدياد تمسُّك المسلمين بجبل طارق، والمحافظة عليه؛ ليبقى ضمن معية المدن الإسلامية، ولم يكن هذا الاهتمام مقتصراً على السلاطين، ففى السادس من ذى القعدة من عام ٧٥٦هـ/١٣٥٥م وقف أهل جبل طارق ضد حاكمهم عيسى بن أبى منديل الذى كان يسعى للاستقلال بجبل طارق، والانضواء تحت راية نصارى أسبانيا، فما كان من أهل جبل طارق إلا أن ثاروا ضده، وحاصروه بالقلعة الكبرى بجبل طارق إلى أن سلم نفسه وابنه لهم، فقاموا بإرسالهم إلى المغرب، وبها تم إعدامهما، وبنهاية هذه الثورة أرسل السلطان أبو عنان ابنه أبا بكر السعيد لجبل طارق والياً عليه، بعد مشاورة مع سلطان بنى الأحمر الغنى بالله، وكان وصول أبى بكر للجبل فى العشر الأولى من محرم سنة ٧٥٧هـ/١٣٥٦م، ولحسن طالع دولتى بنى مرين وبنى الأحمر لم يستجب نصارى أسبانيا لهذا الثائر، رغم تواجد أساطيلهم البحرية بمضيق جبل طارق، كأسطول بطرس PEDRO صاحب برشلونة، والقائم بالجزيرة الخضراء[٥].

وعلى هذه الحالة السياسية استمرت العدوة الأندلسية إلى أن كانت صحوة السلطان الغنى بالله، التى وافقتها حروب داخلية بين دول نصارى أسبانيا، استغل وقوعها السلطان الغنى بالله، وأحرز عدداً من الانتصارات على قوات النصارى فى حصن منتيل وحصن الحويز، كما استولى على نواحى عدة بجيان، وإلى جوار تلك الانتصارات تمكن الغنى بالله فى شهر ذى الحجة من عام ٧٧٠هـ/١٣٦٨م من استعادة الجزيرة الخضراء من يد النصارى، وقد تم ذلك عندما أوعز

---

(١) العبادي وسالم : البحرية ،ج ٢ ، ص ٣٣٥.
(٢) ابن خلدون: العبر ،ج ٧، ص ٣٢٨.
(٣) السامرائى: تاريخ العرب، ص٢٣٩-٢٤٠.
(٤) محمد كمال: يوسف الأول، ص١٢٧-١٢٨.
(٥) شكيب: الحلل،ج٢، ص٢٥٠.

السلطان عبدالعزيز المرينى إلى السلطان الغنى بالله باستغلال انشغال النصارى فيما بينهم، والقيام باستعادة الجزيرة الخضراء، وله من السلطان عبدالعزيز المدد بالمال والأساطيل؛ لانشغاله بفتنة أبى الفضل بن أبى سالم وعامر بن محمد، وبهذه المساعدة تحرك السلطان الغنى بالله إلى الجزيرة الخضراء، وضرب عليها حصاراً استخدم فيه الآلات الحربية، وبعد أيام قلائل شعر النصارى بالهلاك لعلمهم ببعد النصرة، فطلبوا الصلح من السلطان الغنى بالله، وخرجوا عن الجزيرة الخضراء، فعادت للمسلمين وأقيمت بها شعائر الإسلام[١].

لكن ضعف الدول الإسلامية بالمغرب والأندلس دفع بنى الأحمر إلى هدم أسوار وقلاع الجزيرة الخضراء خوفاً من وقوعها بيد نصارى أسبانيا[٢].

وهنا كان سوء التصرف مجلبة لهوان المسلمين، وسرعة ضياع دولة بنى الأحمر فهدم أسوار الجزيرة الخضراء وقلاعها أفقد بنى مرين وبنى الأحمر قاعدة لتموين وحماية الأندلس، كما منح نصارى أسبانيا فرصة تركيز هجماتهم على مدينة جبل طارق القاعدة الإسلامية الأخيرة بالعدوة الأندلسية، كما زاد الأمر سوءاً صراع بنى مرين وبنى الأحمر، الذى يظهر أن أهله أخذوا يبحثون عمن يعينهم على بقاء مدينتهم بأيديهم فى ظل هجمات نصارى أسبانيا المتكررة[٣].

وقد استمر النزاع بين بنى مرين وبنى الأحمر منذ إعلان أهل جبل طارق تبعيتهم لبنى مرين فى عام ٨١٣هـ/١٤١٠م، وهو العام الذى حاول فيه نصارى أسبانيا فى ذى الحجة منه إخضاع جبل طارق، إلى عام ٨١٧هـ/١٤١٤م عندما دخل الأمير أبو الحسن معز الدولة أخو السلطان أبو الحجاج يوسف جبل طارق بعد حصار برى وبحرى، وقد كرَّس السلطان يوسف مدة الحصار بسنواته الخمس كلها لأجل السيطرة على جبل طارق رغم فقدانه لعدد من المدن والحصون كأنتقيرة، ومنتشاقر، وحصن الصخرة، وهذا كله أدى بطبيعة الحال إلى إضعاف دولة بنى الأحمر، مما أثر سلباً على مقاومة جبل طارق لهجمات نصارى أسبانيا فيما بعد[٤].

ونتيجة حتمية لهذا الضياع السياسى والعسكرى تكالبت حملات نصارى أسبانيا على جبل طارق، وكان أولها حملة بحرية سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م قرب جبل طارق، هزم بها السلطان يوسف أبا عبدالله الأيسر، وعقد اتفاق أُقر به هدنة لمدة عامين وذلك فى ٨٠٩هـ/السادس من أكتوبر سنة ١٤٠٦م[٥].

ثم كانت كرة النصارى على جبل طارق بقيادة إنريكى دى غوزمان سنة ٨٣١هـ/١٤١٠م، لكن هذه الحملة باءت بالفشل؛ لغرق قائدها ولعدم تمكن نصارى أسبانيا من تحقيق شىء يذكر عن طريق البحر، نجدهم فى عام ٨٤٠هـ/١٤٣٦م يغيرون على جبل طارق من ناحية البر الأندلسى بقيادة حاكم لبلة رغم كبر الحملة إلا أن أهل جبل طارق تمكنوا من مباغتتها، وقتل قادها وكثير من جنده، ومن خلال حاكم لبلة، وما قبلها يتضح أن سلاطين بنى مرين وبنى الأحمر أصبح لا حول لهم ولا قوة تجاه جبل طارق وحمايته، لم لا ودولة بنى مرين سقطت بعد سقوط جبل طارق بعامين-٨٦٩هـ/١٤٦٤م- على يد بنى وطاس، ودولة بنى الأحمر انحصرت فى هذا الوقت فى غرناطة وما يحيط بها[٦].

---

(١)شهاب الدين أحمد بن محمد التلمسانى المقرى (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب،ج١ ، تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر، ط ١، بيروت، ١٩٦٨م، ص٤٥٢.

(٢) محمد عنان: دولة الإسلام،ج٤، ص١٤٩.

(٣) مهجة أمين: سقوط الأندلس، ص١١٣.

(٤)شهاب الدين أحمد بن محمد التلمسانى المقرى (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م): أزهار الرياض فى أخبار عياض ، تحقيق/مصطفى السقا ،إبراهيم الإبيارى، وعبدالحفيظ شلبى،ج١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،١٩٤٠م ، ص٢٢٦-٢٢٧.

(٥)نفسه.

(٦)محمد القاضى: جبل طارق لم يبق من عروبته غير اسمه،ع١٠٦، مجلة الدفاع،السنة ٣٥، ١٩٩٧م ، ص٧٠. ص٧٠.

وكان سقوط جبل طارق بيد نصارى أسبانيا مسألة وقت، وقد شهد عام ٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م سقوط جبل طارق بيد قائد الجيش القشتالى رودريجو بونسى ديليون دوق مدينة سالم، وبنهاية آخر ثغور العدوة الأندلسية بدأت نهاية دولة بنى الأحمر والوجود الإسلامى بالأندلس، فالإمدادات العسكرية انقطعت عن بنى الأحمر، وهى فى الأصل ضعفت منذ سقوط دولة بنى مرين، كون بنى وطاس لم يكونوا فى مستوى بنى مرين من حيث إمداد الأندلس، كما أن هجرات المسلمين إلى غرناطة ومنهم سكان جبل طارق زادت من أعباء دولة بنى الأحمر التى هوت أمام اتحاد الملك فرناندو الرابع ملك أراغون والملكة إيزابيلا ملكة قشتالة سنة ٨٩٧هـ/١٤٩١م[١].

وعلى نقيض عام ٩٢هـ/٧١٠م كانت العدوة الأندلسية آخر قدم يطأها المسلمون من بلاد الأندلس بهجراتهم المتتابعة إلى بلاد المغرب، فمنذ انقضاء عام ٨٩٧هـ/١٤٩١م بدأ خروج أهل الجزيرة الخضراء إلى طنجة، وأهل طريف إلى أسفى، وآموز، وأنفه، وفى عام ١٠١٩هـ/١٦١٠م نقل الأميرال دون خوان دى مندوزا المدجنين[٢] .

من جبل طارق لساحل المغرب؛ وكان هذا الخروج للمسلمين هو الخروج الذى لم يعودوا بعده إلى الأندلس رغم بعض المحاولات التى وصل قادتها إلى مدن العدوة الأندلسية، كغزوة أمير البحر خير الدين بربروسا على جبل طارق سنة ٤٩٧هـ/ ١٥٤٠م، والتى كاد بها الغزاة أن يستولوا على جبل طارق من يد الأسبان[٣] [٤].

الخـاتمـــــة.

إستهدفت هذه الدراسة صراع مدن العدوة الأندلسية ضد الممالك الإسبانية المسيحية وقد خلصت الدراسة إلى ما يلى:

أهمية منطقة العدوة الأندلسية فى الصراع بين الأندلس وحكام الممالك الإسبانية المسيحية، والظروف العصيبة التي أخذت تنتاب الأندلس، وسقوط الكثير من المدن والحصون الإسلامية بيد النصارى الأسبان الذين أخذوا يتكالبون عليها بشكل عنيف ومتواصل منذ مطلع القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، كذلك ضعف الدولة الموحدية وعدم قدرتها على إدامة سلطانها على بلاد الأندلس، بسبب هزيمتها في موقعة العقاب سنة ٦٠٩ هـ/١٢١٢م، وحكم خلفاء ضعاف يتم عزلهم بسرعة ثم ينصب غيرهم، وظهور قوى مناوئة لهم نافستهم على حكم بلادهم ، مما جعلهم يكرسون جهودهم للدفاع عن كرسي العرش فقط، فخاض حكامها حروباً داخلية أنهكتهم وأدت بهم إلى الإنهيار والسقوط ، فضلاً عن فشلهم في الدفاع عن بلاد المسلمين في الأندلس، وهذه الأسباب مجتمعة مهدت السبيل لبزوغ نجم الحكام النصارى في بلاد الأندلس.

---

(١) حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب، ص٤٥٢.

(٢) المدجنون:اسم أطلق على المسلمين الذين بقوا بالأندلس بعد خروج الحكم الإسلامى منها، وكانوا على حال من الضعف حتى عرفوا بمسمى الموريسكيين(Los Moriscos) أى المسلم الصغير.انظر عبدالرحمن على الحجى: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار القلم، دمشق ،١٩٧٦ م ، ص٥٩٦.

(٣) فقد الأسبان جبل طارق سنة ١١١٧هـ/١٧٠٤م بسيطرة الإنجليز عليه بعد حصارهم له براً وبحراً مدة ثلاثة أيام، ولازال بيدهم إلى يومنا هذا. انظر الناصرى: الاستقصا،ج٣، ص٩٣.

(٤) سحر السيد عبدالعزيز سالم:أوراق تاريخية بحر متوسطية من العصر الإسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ،٢٠٠٦م، ص٢٧٦.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً:المصادر العربية.

- **ابن الأبَّار**(أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبى بكر القَّضاعى ت ٥٦٨هـ/١٢٥٩م):
  - التكملة لكتاب الصلة، جزءان، نشر/عزت العطار الحسينى، مكتبة الخانجى، بغداد،١٩٥٦م.
  - الحلة السيراء، جزءان، تحقيق/ عبدالله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت،١٩٦٢م ؛ ج٢، تحقيق د/حسين مؤنس، دار المعارف، ط٢، القاهرة ، ١٩٨٥م.
- **ابن الأثير**(المبارك بن محمد الجزرى ت٦٠٦هـ/ ١٣٠٩م):
  - النهاية فى غريب الحديث والأثر، تحقيق/طاهر أحمد الزاوى، محمود الطناحى، دار الباز، ط١، مكة المكرمة، ١٩٨٦م.
- **ابن الإثير**(أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبدالواحد الشيبانى ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م):
  - أسد الغابة فى معرفة الصحابة، مج٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.
  - الكامل فى التاريخ، تحقيق/مجموعة من العلماء، دار صادر، بيروت، ١٩٨٢م.
- **ابن الأحمر**(أبى الوليد إسماعيل بن الأحمر ت٨١٠هـ/١٤٠٧م):
  - روضة النسرين فى دولة بنى مرين، تحقيق عبدالوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٩م.
  - نثير الجمان فيمن نظمى واياه الزمان، تحقيق/ رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، ط١، دمشق،١٩٧٦م.
- **الإدريسى** (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس ت بعد ٥٦٠هـ/١١٦٤م):
  - نزهة المشتاق فى إختراق الآفاق، نشر/دى غويه، دوزى، ليدن، ١٩٦٨م.
- **ابن أبى زرع** (على بن عبدالله الفاسى ت ٧٢٦هـ/١٣٢٥م):
  - الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والنشر والوراقة، الرباط، ١٩٧٥م.
- **ابن الخطيب**(لسان الدين محمد بن عبدالله السلمانى ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م):
  - الإحاطة فى أخبار غرناطة، أربعة أجزاء، تحقيق/محمد عبدالله عنان، دار المعارف، القاهرة،١٩٧٣م.
  - تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام فى من بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفى بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، القاهرة ، ٢٠٠٤م.
- **ابن خلدون**(أبو زيد ولى الدين عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الخضرمى ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م):
  - تاريخ ابن خلدون المسمى " كتاب العبرودیوان المبتدأ والخبرفى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر" ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، ط١، بيروت،١٩٧١م.
- **ابن سعيد المغربى**(أبو الحسن على بن موسى ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م):
  - المغرب فى حلى المغرب، جزءان ، تحقيق/ د.شوقى ضيف، دار المعارف، ط٣، القاهرة ، ١٩٧٨م.
- **السلاوى**(أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى ت١٢٧٤هـ/١٨٥٧م):
  - الإستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، تحقيق/جعفر الناصرى، محمد الناصرى، دار الكتاب، الدار البيضاء،١٩٥٤م.

- **مؤلف مجهول:**
- الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق/ سهيل زكار وعبدالقادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، ط١، الددار البيضاء،١٩٧٩م.

- **عبدالواحد المراكشي**(أبو محمد عبد الواحد على ت فى النصف الأول من القرن ٧ه/ النصف الأول من القرن ١٣م) :
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق/محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجانى للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٤م.

- **المقري**(شهاب الدين أحمد بن محمد التلمسانى ت١٠٤١هـ/١٦٣١م):
- أزهار الرياض فى أخبار عياض ، تحقيق/مصطفى السقا ،إبراهيم الإبيارى، وعبدالحفيظ شلبى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،١٩٤٠م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر، ط ١، بيروت، ١٩٦٨م.

- **النويرى**(شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويرى ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م):
- نهاية الأرب فى فنون الأدب، ج٢٣، تحقيق/أحمد كمال زكى، مراجعة/محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م.
- نهاية الأرب فى فنون الأدب، ج٢٤، تحقيق/ حسين نصار، مراجعة/ عبدالعزيز الأهوانى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣م.
- نهاية الأرب فى فنون الأدب، الجزء الخاص بتاريخ المغرب الإسلامى فى العصر الوسيط، تحقيق/ مصطفى أبو ضيف، دار النشر المغربية، ط١، الدار البيضاء، ١٩٨٤م.

- **الونشريسى** (أبو العباس أحمد بن يحيى ت ٩١٤هـ/١٥٠٨م):
- المعيار المُعْرَب والجامع المُغرِب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجة جماعة من الفقهاء بإشراف/محمد حجى، دار الغرب الإسلامى، ط١، بيروت،١٩٨١م.

- **ياقوت الحموى** (شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبدالله ت٦٢٦ هـ /١٢٢٩م):
- معجم البلدان ، تحقيق/ فريد عبد العزيز الجندى، دار الكتب العلمية ، بيروت،١٩٩٠م.

ثانيا: المراجع العربية والمعربة:

- **إبراهيم القادرى بوتشيش:**
- المغرب والأندلس فى عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١، بيروت ،١٩٩٣م.

- **إبراهيم أنيس وآخرون:**
- المعجم الوسيط،ج٢، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، 1410هـ/ ١٩٩٠م.

- **إبراهيم احمد العدوي :**
- المسلمون والجرمان (الإسلام في غرب البحر المتوسط)، دار المعرفة ، ط ١، القاهرة ،١٩٦٠م.

- **إبراهيم بيضون:**
- الدولة العربية فى أسبانيا منذ الفتح إلى سقوط الخلافة(٩٢-٤٢٢ه/٧١١-١٠٣١م)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٨٠م.

- **أحمد إبراهيم الشعراوى (دكتور):**
  - دراسات فى تاريخ إسبانيا فى العصور الوسطى،ج١، دار النهضة العربية،القاهرة، ١٩٧٣م.
- **أحمد محمد الطوخى(دكتور):**
- العلاقات الأندلسية الحفصية، بحوث ندوة الأندلس " الدرس والتاريخ "، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية ورابطة الجامعات الإسلامية، ١٩٩٤م.
- **أحمد مختار العبادى(دكتور)، السيد عبدالعزيز سالم(دكتور):**
  - تاريخ البحرية الإسلامية فى حوض البحر الأبيض المتوسط،ج٢، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ب.ت.
- **السيد عبدالعزيز سالم (دكتور):**
  - بحوث إسلامية فى التاريخ والحضارة والآثار، دار الغرب الإسلامى، ط١، بيروت ،١٩٩٢م.
- **حسين مؤنس(دكتور):**
  - معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، ط٣، القاهرة،١٩٩٩م.
- **خليل ابراهيم السامرائى:**
  - تاريخ العرب وحضارتهم فى الأندلس، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت ،٢٠٠٠م.
- **سحر السيد عبدالعزيز سالم(دكتور):**
  - تاريخية بحر متوسطية من العصر الإسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ،٢٠٠٦م.
- **شكيب أرسلان:**
  - الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية، ج١، المطبعة الرحمانية ، ط١، القاهرة ،١٩٣٩/١٩٣٦م.
- **ليفى بروفنسال:**
  - حضارة العرب، ترجمة/ ذوقان قراقوط، منشورات مكتبة دار الجياة، بيروت، د.ت.
- **عبدالرحمن على الحجى(دكتور):**
  - التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار القلم، دمشق ،١٩٧٦ م.

محمد عبدالله عنان(الأستاذ):
  - دولة الإسلام فى الأندلس، مكتبة الخانجى، ط٢، القاهرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- **كمال شبانة(دكتور):**
  - يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٦٩م.
- **مهجة أمين الباشا:**
  - سقوط الأندلس، شراع للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، دمشق،٢٠٠٠م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

-Algeciras Andalusi:

1. (siglos VIII XIV) Catalogo de La Exposicion.

-Salma Khadra Jayyusi:

2. The Legacy of Muslim Spain،chief Manuela Marin، E.J.BRILL، Leiden، 1994 .

رابعاً:الدوريات العربية:

أمين توفيق الطيبى:

١. جبل طارق جبل الفتح معقل إسلامى عبر القرون الوسطى، ع٥٣، تاريخ العرب والعالم،١٩٨٣م.

٢. مدينة الاشبونة " لشبونة "الإسلامية، مقال نشر فى كتاب بحوث ودراسات فى تاريخ المغرب والأندلس،الدار العربية لكتاب، تونس، ١٩٨٤م.

- **صالح محمد أبو دياك:**

١. فنون القتال عند المرابطين والموحدين والحفصيين، ع٣٨،السنة الخامسة عشر،مجلة المؤرخ العربى،١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

- **محمد القاضى:**

٢. جبل طارق لم يبق من عروبته غير اسمه،ع١٠٦، مجلة الدفاع،السنة ٣٥، ١٩٩٧م.

٣. مدن إسلامية الجزيرة الخضراء ثغر الأندلس الباسم،ع١٨، التاريخ العربى، ٢٠٠١م.

- **محمود شيت خطاب :**

٤. "قادة فتح الأندلس في مرحلة استثمار الفوز" ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج ٤٠، ج ٢، بغداد ، ١٩٨٩ م.

٥. " طارق بن زياد (فاتح شطر الأندلس) "، مج ٣٩ ، ج ٢، مجلة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٨ م.

محمود على مكى:

٦. جهود حكام بنى أمية فى الأندلس فى مواجهة الغزو النورماندى للدولة الإسلامية فى الأندلس وما أسفرت عنه تلك الجهود من نتائج،ع٢٤، التاريخ العربى،٢٠٠٢م .

٧. وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد، مج٧-٨، مدريد، ١٩٥٩م.

- **منير نصيف :**

٨. "مفاتيح جبل طارق " ، مجلة العربي ، العدد ٢٣٠ ، الكويت ، ١٩٧٨ م.

- **نورة التويجرى:**

٩. علاقة مملكة بنى الأحمر بالدول النصرانية ،ج١،ع٢٨، مجلة دراسات أندلسية ، رمضان ١٤٢٣هـ/نوفمبر ٢٠٠٢م.

The struggle of the cities of the Andalusian enemy against the Spanish Christian kingdoms " (693 AH / 1293 CE-744 AH / 1344 CE)

By

Samar Mohamed El Sayed Yacoub

PhD student, Department of History, Faculty of Girls, Ain Shams University

Abstract

Historical Studies command the certain geographic locations that witnessed unique events, with great interest from the presence of public researchers and private historians, and given the enemy Andalusia historical importance, since it took place historical events in the fertile period still needs a lot of research and studies to document the mysterious events for the scientific understanding of the reality of what was on the scene, it may be the objective to prove that some of the historical aspects in the Andalusia enemy that remained complaining blur, leaving a vacuum that are complaining about the historical Arab library.

Perhaps those facts have formed the cornerstone of the main motivations for this topic "Clash of the cities of the enemy Andalusia against kingdoms Spanish Christian" (693 AH / 1293 M 744 AH / 1344 AD), so addressing this issue comes as a continuation of scientific efforts that addressed the Andalusia history and Moroccan.

The role of the Andalusia cities of the enemy in the struggle against the Spanish Christian kingdoms emerged, thanks to its strategic location, it door of Andalusia, port and the Strait of Gibraltar, the main crossing between the continents: Europe and Africa.

That's when the Christians of Spain realized the importance of its cities, Vmutiroa on the control and seizure of its cities, and appeared so obvious in the struggle for control, and establish business cities on either side.

They make controlled, seized on the metaphor, and thus the road linking Morocco and Al-Andalusia, so the kings of Castile keen on taking it to separate Morocco from Al-Andalusia, and therefore easier for them to seize the rest of the cities of Andalusia and the bases afterwards.

From here highlights the importance of the enemy Andalusia cities, they reveal to us about the strengths and weaknesses of Andalusia and Spain, and the factors that helped exchanged for the leading role, and the extent of what was in them from an internal homogeneity or repulsion, and the unity or dispersed.

And it was considered the Christians of Spain, the Andalusia cities of the enemy first line of defense for the Islamic entity in Andalusia, starting from the seventh century AH; for his joint military cooperation between the forces of Morocco and the forces of Al-Andalusia at the time of the Taiga, and rulers stationed, and the rulers of the monotheists.

The Kingdom of Castile and the Kingdom of Portugal emerging has been able to exploit the weakness of the Unitarian Vistula the most important cities of Andalusia such as Cordoba, and Jain, and Murcia. As well as it seized Alakectaliwn on Seville and became an outlet for them on the enemy Andalusia, particularly the Straits of Gibraltar through the Guadalquivir River, which they learn the Atlantic Ocean.

And by exploiting Alakectaliwn case of doubt, which acquired the kings built the Red built from Marin, and they keep on fueling the conflict between the Islamic Front, and exploit it to their advantage.

Muslims have realized the weakness of their position in the Andalusia region, after the loss of the enemy Tariff and Gibraltar, and they keep on mending fences and the alliance paid off for the return of Gibraltar to the mouth of the possession of the Islam-year 733 AH, this vital gap, which documents the link between Morocco and Al-Andalusia.